إن إقليم السودان الغربي يعد من أقاليم إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، ونظرا لأهمية هذه المنطقة في التاريخ الإفريقي سوف نتعرض في هذا الفصل إلى أصل كلمة السودان الغربي، كما سنتعرض إلى الشعوب و القبائل التي تتواجد في المنطقة بحيث أن هذه الشعوب انصهرت فيما بينها، و كونت حضارات يشهدها التاريخ بالعظمة ، بالإضافة إلى أن هذا الفصل سنتطرق إلى الموقع الجغرافي والسمات الطبيعية ، والهدف من ذلك هو الإلمام بالخصائص و المميزات لهذا الإقليم الذي يعتبر محور دراستنا.

أولا : الموقع الجغرافي و السمات الطبيعية

يمثل غرب إفريقيا موطن الجماعات الزنجية النقية أو الزنوج الحقيقيين ، و يمتد هذا الإقليم من مصب نهر السنغال عند خط عرض 16°شمال خط الاستواء تقريبيا[1]، و حتى الحدود الشرقية لنيجريا و في الماضي كان هذا الإقليم أكثر مناطق إفريقيا اضطرابا واختلاطا، فهو عبارة عن مجموعة من الوحدات السياسية المحصورة التي يمتد كل منها من الساحل إلى الداخل، وترجع نشأة كل منها إلى قيام مركز أوروبي تجاري على الساحل في الفترة ما بين القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر و تظم هذه المنطقة كل من : السنغال، غانا، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج، ساحل الذهب، الداهومي نيجيريا، و تمتد هذه المناطق إلى الداخل بحيث تمثل القسم الكبير من القارة الإفريقية والذي يعرف بالسودان الغربي[2] .

وباختصار فإن المنطقة تشمل ما يعرف اليوم بحوض السنغال و غامبيا ، و فولتا العليا، والنيجر الأوسط،[3] كما يقصد بغرب إفريقيا المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا حتى

---

[1] . تقع أراضي غرب إفريقيا ما بين خطي عرض 4°و 16°شمال خط الاستواء في جنوب و خط طول 13° و17° غرب خط غرينيتش .أنظر : محمد فاضل على باري و سعيد إبراهيم ،المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة ، دار الكتب العلمية ،ط1، لبنان، 2007، ص19.

[2] . جي دي فيج ، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة: السيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف ، القاهر، 1982، ص 15.

[3] . عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ش و ن ت ، الجزائر ،د ت، ص15.

حدود السودان الأوسط الغربية شرقا و من المناطق الصحراوية في الشمال إلى نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب[1].

ويعد إقليم السودان الغربي من أقاليم إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، و هو الجزء المطل على المحيط الأطلسي من الغرب و الجنوب الغربي[2]، وعلى الغابات الاستوائية الكثيفة من الجنوب و الصحراء الكبرى ناحية الشمال ، وبالتالي فهو يشرف على منطقة جغرافية واسعة النطاق دل عليها قول الإصطخري: "بلدان السودان بلدان عريضة إلا أنها قشفة وفقيرة جدا و لهم في جبال عامة ما يكون في بلاد الإسلام من الفواكه...و ليس هم من النوبة[3] و لا الزنج و لاالحبشة و لا من البجة [4]"[5].

ويقول ابن خلدون :"السودان أصناف و شعوب و قبائل ، أشهرهم بالمشرق الزنج و النوبة ، يليهم من غربهم كوكو[6] ، وبعدهم التكرور[7]"[8]، وذكر القلقشندي أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط و من الجنوب الخراب ممايلي خط الاستواء، ومن الشرق

---

[1] . عبد القادر زبادية ،الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1989، ص11.

[2] . إلهام محمد علي ذهني ، جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850–1914، دار المريخ، الرياض ،السعودية ، 1988، ص 19.

[3] . **النوبة** : تقع بلاد النوبة في جنوب مصر ممايلي المغرب على ضفتي النيل و يحدها ناحية الشمال مصر و من الشرق أرض البجة وبحر القلزم .أنظر :نبيلة حسن محمد ، المرجع السابق ، ص70.

[4] **. البجة** : الإقليم الموجودة في جنوبي صعيد مصر ممايلي الشرق فيما بين بحر القلزم و بين نهر النيل هو بلاد البجة. أنظر: المرجع نفسه .ص70.

[5] . أبو إسحاق محمد الفارسي الإصطخري، المسالك و المماليك ، تح : محمد جابري عبد العال الحيني، مر :محمد شفيق غربال ،د م، 1961، ص 34.

[6] . **كوكو:** شرقي اقليم مالي وهي مدينة كبيرة على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال يمر بها ثم يغوص في الصحراء كما يغوس في الفرات في بطائح العراق أنظر : أبو العباس القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ج5، م و ت ن القاهرة ، 1963 ، ص274.

[7] . **التكرور**: شرقي اقليم كوكو ويليه من جهة الغرب مملكة البرنو ، وبها عرفت هذه المملكة على كبرها واشتهرت.أنظر: أبو العباس القلقشندي ،المصدر نفسه ، ص275.

[8] . عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدئ والخبر ،ج5، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ،1973، ص234.

بحر القلزم[1] ،مما يقابل بلاد اليمن و من الشمال براري تمتد ما بين مصر و برقة، و بلاد عرب مغاربة من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط[2] .

أما ابن حوقل فقد حدد منطقة السودان بقوله : "و أما جنوبي بلاد السودان، فإن بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف...غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المحيط وحد له ينتهي إلى برية[3] كما ذكر ابن عبد الحكم مصطلح السودان عندما أشار إلى السوس ، جنوب المغرب بقوله" وغزا عبد الله الفهري السوس و أرض السودان"[4] .

إن الإقليم المعروف باسم غرب إفريقيا إقليم واسع المساحة ، يقع شمال خط الاستواء و يغطي القسم الجنوبي من امتداد إفريقيا الكبير نحو الغرب، و يظم القسم الشمالي الغربي من هذا الامتداد ، ويشكل الحزام الأوسط العريض منه جزءا من الصحراء الكبرى ولكن بين الصحراء شمالا خليج غينيا جنوبا، يبلغ عرضه 1100 كلم يحتله إقليم غربي إفريقيا و أقصى امتداد للقارة غربا هو كيب فرد بمعنى الرأس الأخضر قرب دكار[5].

ويقع القسم الشمالي الجاف من غرب إفريقيا ضمن حزام السودان العريض في السفانا الشمالية التي تمتد من الأطلسي إلى الحبشة، في حين أن النطاق الجنوبي الأكثر رطوبة يدعى أحيانا بالأراضي الغنية ، وإلى الجنوب من غرب إفريقيا يقع خليج غينيا وعدد من الجزر تعتبر عادة كجزء من هذا الإقليم و أربعة منها تتابع استمرار الاتجاه الشمالي الشرقي الجنوبي الغربي لمرتفعات "أداواما " وهي : فرنادويو ، برنسيب ساوتومة ، أنوبون.

---

1 . **بحر القلزم** : يقصد به البحر الأحمر.

2 . أبو العباس القلقشندي ، المصدر السابق ، ص 275.

3 . أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1979، ص24.

4 . ابن عبد الحكم ، فتوح بلدان المغرب و الأندلس ، تر :البرت جانو، د ن، د م، 1948 ، ص 122.

5 . أنور عبد الغاني العقاد، الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ ، الرياض، 1982، ص260.

أما الجزر الأخرى فتظم جزر الرأس الأخضر التي تقع بعيدا عن شاطئ المحيط إلى الغرب من سان لويس "السنغال " ،وفي الشمال تقع ثلاث دول شاسعة جدا تمتد حتى الصحراء وهي: موريتانيا ،مالي،النيجر، بينما الدول الأصغر كالسنغال وفولتا العليا لا تصل حدودها إلى الصحراء تماما،أما دويلة غامبيا فتشكل جيبا داخلا في أرض السنغال، حيث يقع للجنوب منها ما يدعى اليوم باسم غينيا بيساو ، أو غينيا البرتغالية سابقا ، أما بقية البلاد فتمتد بتواز على شكل صف على طول ساحل خليج غينيا و تظم كل من : سيراليون، ليبريا، ساحل العاج، غانا، الطوغو، بنين، نيجيريا[1].

و تختلف هذه الدول من حيث المساحة و السكان و الأهمية ،فالدول الشمالية الثلاث قليلة السكان رغم حجمها الكبير، وقد اشتهرت غانا كثيرا عام 1957 م عندما أصبحت أول مستعمرة تحصل على الاستغلال على الرغم من أن ليبيريا وجدت كدولة مستقلة عام 1882م كمأوى للعبيد المحررين العائدين إلى إفريقيا من الولايات المتحدة الأمريكية[2] .

وفيما يخص الشواطئ التي تحد هذا الإقليم من القارة الإفريقية، تختلف في صفاتها من مكان إلى آخر ،لكن بعضها فقط كان ملائما للنشاط البشرى[3]،وأحسن المرافئ الطبيعية هو مرفأ " فريتا ون" و مرافئ صناعية أخرى في تاكورادي ،و تيما،و منروفيا.

وفي الغرب تقع هضبة "فولتا جالون"ارتفاعها 1500 متر باتجاه الجنوب و الشرق على طول الحدود الداخلية لكل من سيراليون و ليبيريا على هيئة نطاق من الأرض المرتفعة و

[1] . أنور عبد الغاني العقاد ، المرجع السابق ، ص 262.

[2] . أنور عبد الغاني العقاد ،المرجع نفسه ،ص261.

[3] . محمد محي الدين رزق ، إفريقيا و حوض النيل ، ط2، د م ، 1934، ص 87.

تندمج هضبة "جوس" باتجاه الشمال مع سهول أرض الهاوسا[1] ، المرتفعة الواسعة التي تحتل معظم شمال نيجيريا ، و من الهضاب أيضا لوما ونيميا ، أتاكورا[2].

وإلى الشرق من النيجر الأدنى تقع مدرجات "أوغو"و أراضي نهر "كروس" المنخفضة التي ترتفع فوقها "باميرا" الشامخة، وفيما يخص الأنهار فإن أنهار غرب إفريقيا قصيرة و تتدفق من منطقة الهضبة الداخلية متجهة نحو الجنوب إلى الساحل، لكن يوجد عدد من الأنهار الكبيرة و أهمها هو نهر النيجر الذي تبدأ منابعه قرب حدود سيراليون وليبيريا في الشمال ،و الذي يتخذ مجراه اتجاها شماليا شرقيا في قسمة الأول بعيدا عن الساحل و بين سينغو و تمبكتو يتجزأ النهر إلى عدد من القنوات في المنطقة المعروفة بدلتا النيجر الداخلية قبل أن يعود ليتدفق بمجرى ينحني نحو الشرق،ومن ثم إلى الجنوب الشرقي لنهر نيجيريا[3].

من يبن الأنهار العامة في غرب إفريقيا نجد نهر السنغال ونهر غامبيا و نهر الفولتا اللذان ينبعان من هضبة فوتا جالون و يجري بعيدا عن البحر قبل أن يعودا فينحنيا باتجاه الغرب نحو الأطلسي ، و نهر السنغال في الواقع نهر طويل نسبيا و لكن أكبر قسم منه يسيل في مناطق قليلة الأمطار، لذاك كانت المياه فيه قليلة في معظم أشهر السنة ،إضافة إلى ذلك من الأنهار بحيرة تشاد ذات التصريف الداخلي وفي هذه البحيرة يصب عدد من الأنهار أهمها: " نهر كومادوغو بوبي من الغرب، ونهر لوغون ، و نهر شاري من الجنوب.

وفيما يخص الشواطئ في غرب إفريقيا ، منها ماهو صخري ومنها ماهو رملي،و تقع الشواطئ الصخرية في موريتانيا و السنغال ، أما الرملية فتبدأ في غينيا بيساو و تنتهي في نيجيريا مشكلة بعض الخلجان القليلة التي تسمح بإقامة الموانئ فيها، أما الجزر فهي قليلة

---

[1] **الهوسا** : (الحوصا) مصطلح يطلق على الذين يتكلمون بلغة الهوسا ,إذ أن الهوسيين لاينحدرون من أصل واحد ,بل جاء أغلبهم نتيجة امتزاج حدث بين جماعات قبلية و عرقية كثيرة. أنظر :حسن أحمد محمود ،الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي ، دع، القاهرة ، 1988، ص 197.

[2] . يوسف روكز ، إفريقيا السوداء سياسية و حضارة ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1986 ، ص 43.

[3] . أنور عبد الغني العقاد ، المرجع السابق ، ص ص265–266.

في منطقة غرب إفريقيا و أبرزها أرخبيل بيجاغوي الموجودة قبالة ساحل غينيا بيساو و أرخبيل ساوتومي و برنسيب.

وتتوفر المنطقة كذلك على ثروة مائية هائلة ، و تتجلى هذه الوفرة في الجزء الشمالي، أما القسم الجنوبي فهو يفتقر لها، و يفسر هذا الاختلاف بين الشمال و الجنوب من حيث الغنى بالثروة المائية إلى الاختلاف الموجود بينهما تضاريسيا و مناخيا[1] ،أما المناخ في غرب إفريقيا مناخا مداريا يتميز بتنوع ظاهر من جهة أخرى إذ أن أقصى المناطق بعدا نحو الشمال في غربي إفريقيا لا تتعدى منطقة المدار الشمالي ، و لهذا تكون الشمس دائما مرتفعة في كبد السماء عند الظهيرة و لذلك ينذر أن تكون درجات الحرارة في النهار منخفضة، و تنوع مناخ غرب إفريقيا يرجع إلى سببين رئيسين هما: حرارة الشمس الفصلية ، أما السبب الثاني هو بعد القسم الأعظم من منطقة الشمال نسبيا ، أي المناطق الأكثر جفافا عن مياه المحيط[2].

إن هذه المنطقة الواسعة من غرب إفريقيا تنقسم إلى جزئيين كبيرين بحيث أن الجزء الأول يتمثل في الجزء الداخلي الذي يقع خلف حزام الغابات المطلة على خليج غينيا و هو يتميز بمساحته الواسعة، و ينتمي إلى هذا الجزء كل من : بوركينافاسو، جزر الرأس الأخضر ،غامبيا ، مالي ، النيجر،السنغال ، موريتانيا ، و هذا الجزء هو الذي ينشأ ما يسمى بالسودان الغربي[3] .

أما الجزء الثاني فيتمثل في الجزء الساحلي الذي يضم الدول المطلة على خليج غينيا و هي : بنيين، كودي فوار، غانا ، ليبيريا ، سيراليون، توغو، بالإضافة إلى نيجيريا، و بعد

[1] . جمال الدين ألديناصوري ، جغرافيا العالم دراسة إقليمية (إفريقيا ، أستراليا)،ج2، القاهرة ،1979، ص ص 144–145.

[2] . أنور عبد الغني العقاد، المرجع السابق، ص268.

[3] . محمد فاضل علي باري وآخرون، المرجع السابق ، ص20.

وصول الأوروبيون إليه و ازدهار تجارتهم به قسموا المناطق الساحلية لهذا الجزء إلى أربعة مناطق ، و أطلقوا على كل منطقة اسما خاصا بها، وتتمثل هذه المناطق في مايلي :

-ساحل الحب: تتمثل في ليبيريا التي كانت تنتج نوعا من الفلفل الأسود.

-ساحل العاج: تتمثل في كوت دي فوار الغنية بالغابات.

-ساحل الذهب: و هي غانا الحالية و سميت كذلك لغناها بالذهب.

-ساحل الرقيق :وهي المنطقة الممتدة بين مصب نهر الفولتا و دلتا و نهر النيجر[1].

كما تتوفر منطقة غرب إفريقيا على غطاء نباتي متنوع ، نتاج تفاعل بين المناخ و التربة ، و لذلك كانت تكثر الأشجار الطويلة دائمة الخضرة و تتركز بكثافة في جنوب نيجيريا و ساحل العاج ، و مع الاتجاه شمالا تقل كمية المطر و يقل معها الغطاء النباتي و تنتشر السفانا الفقيرة ، وعلى هوامش جنوب الصحراء تسود فيه الحشائش القصيرة التي تنموا في فصل المطر[2].

أما الثروة الحيوانية فهي غنية، وهذا مرتبط بعوامل عديدة جغرافية و مناخية و تاريخية[3] ، فمثلا في الإقليم المتوسط نجد تربية الأبقار و الخيول و الأغنام و الحمير و الجمال و الدواجن، و في أقاليم الصحاري و السهوب ، ينتشر الجمل و الأغنام و الغزال و النعامة و الزواحف[4] .

---

[1] . أحمد إبراهيم دياب ، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، دار المريخ للنشرو التوزيع، الرياض ، بيروت 1981، ص88.

[2] . عبد القادر مصطفى المحشبي و آخرون، جغرافيا القارة الإفريقية و جزرها ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع، ط1 ليبيا، 2000م ،ص ص 159. 163.

[3] . يوسف روكز، المرجع السابق، ص19.

[4] . محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى ،دار الرواد للطباعة و النشر، ليبيا، ط1، 1994 ، ص ص51 .63.

و يعتبر إقليم السفانا أغنى الأقاليم الإفريقية في ثروتها الحيوانية كالزرافة و الوعل و الأغنام و الغزال و الحمار الوحشي[1].

ثانيا : أصل التسمية

كلمة السودان كانت تعني عند المؤرخين المسلمين إلى عهد قريب بلدان إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، ترجع بداياته إلى القرن الثامن عشر أطلقت عليه عدة تسميات مثل : بلاد الفونج[2]، و في بداية القرن 19 اتسع هذا المدلول ليدل على كل بلاد السودان الحالية إذ أطلق هذا الاسم ليدل على مناطق أهالي النيل برمتها، ثم أتسع المدلول بعد ذلك ليشمل كل أقاليم السودان[3].

كما يعد هذا الإقليم من أقاليم إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، وبالتالي فهو يشرف على منطقة جغرافية واسعة النطاق ، و تطلق كلمة السودان على المنطقة المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا ، و المحيط الهندي و البحر الحمر شرقا ،و الصحراء الكبرى شمالا و خط عرض 10 جنوبا، و شمال خط الاستواء.

والعرب المسلمين هم من أطلق كلمة السودان على الشعوب و القبائل التي تقطن هذه المنطقة الواسعة التي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أساسية هي: السودان الغربي هو محور دراستنا .

ويشمل حوض نهر السنغال و المناطق المحيطة به،وغامبيا،فولتا العليا،النيجر الأوسط[4]

---

[1] . يوسف روكز، المرجع نفسه ، ص20.

[2] . **بلاد الفونج:** هي أول مملكة عربية إسلامية في السودان و قد هاجروا من شبه الجزيرة العربية و استوطنوا صعيد مصر وفي عهد الخليفة المستنصر هاجرو إلى السودان وأسسوا مملكة الفونج بزعامة عمار دنفس . انظر : نبيلة حسن محمد ، المرجع السابق ، ص193.

[3] . زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، المرجع السابق، ص 15.

[4] . يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع ق 16الى مطلع القرن 20، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر و التوزيع، 2009، ص 8.

و القسم الثاني هو السودان الأوسط[1]، و القسم الثالث هو السودان الشرقي[2].

ويمثل السودان الغربي بمفهومه الواسع حاليا البلدان التالية :موريتانيا ، الصحراء الغربية مالي ،السنغال ،غامبيا، غينيا بيساو،غينيا كوناكري ،سيراليون ،ليبريا،ساحل العاج فولتا العليا (بور كينا فاسوا)، الطوغو ، بنيين ، نيجيريا ، الكامرون، الغابون الكونغو الأوسط ، و يمكن أن نضيف إليها "النيجر ، إفريقيا الوسطى ، و التشاد في السودان الأوسط لارتباطها بتاريخ السودان الغربي من الناحية الإسلامية[3].

وقد استوحى العرب هذا الاسم من لون البشرة عند سكان المنطقة ،وبعد العرب جاء الأوروبيون وبقي تداول هذا المصطلح ، ولكن الكلمة استعملت استعمالات جزئية، فبينما أطلق الفرنسيون على ممتلكاتهم "غرب إفريقيا "، أستعملها الإنجليز للدلالة على ما كان يعرف لديهم "بالسودان الغربي "، و هو يشمل حاليا كل جمهورية السودان و جزاء من أوغندا الشمالية.[4]

كما أطلق العرب كلمة السودان على كل المناطق الواقعة جنوب مصر و التي يسكنها السود أو أرض المسلمين السود[5] ، و هي تشمل جغرافيا كل البلاد الواقعة جنوب الصحراء و الممتدة من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا [6]، كما أطلق العرب أيضا على هذه المناطق "أرض الشعوب السوداء " و يعود أصل هذه التسمية إلى أن سكان هذه

---

[1] . **السودان الأوسط:** و هو الذي يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

[2] . **السودان الشرقي:** و هو الذي يشمل مناطق النيل وروافده و جنوب بلاد النوبة.أنظر : عبد القادر زبادية، الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية ، المرجع السابق، ص 11.

[3] . يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص10.

[4] . عبد القادر زبادية،المرجع نفسه، ص11.

[5] . عصمت عبد اللطيف د ند ش ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ -515هـ-1038م-1121م مع نشر و تحقيق رسائل أبي بكر بن العربي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1988، ص44.

[6] . محمود شاكر ، السودان، ط2، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، 1981، ص9.

المنطقة هم من ذوي البشرة السوداء[1] ، و يقول مار مول كارفجال: "أن بلاد السود التي يسميها الأفارقة كناواة و الزنج و النوبة هي إثيوبيا السفلى"[2] ، و كان تداول هذا المصطلح يقوم على الاعتبارات الأثنية و خاصة الجغرافية[3] .

ثالثا : التركيبة البشرية و الخصائص الاجتماعية

تتميز منطقة غرب إفريقيا بالتنوع العرقي ، حيث توجد عدة أعراق تختلف من حيث اللون والبنية المورفولوجية، اللغة والنشاط الاقتصادي والعادات والتقاليد ،ولذلك يمكننا تصنيف سكان غرب إفريقيا إلى ثلاث أقسام و هم : السكان الأوائل ، و الزنوج ، و أخيرا السكان الغير زنوج.

فيما يخص السكان الأوائل فهم ذو صلة من الناحية الجنسية بأقزام إفريقيا الاستوائية و منهم البيروم الذين يعيشون فوق هضبة جوس، وهم قصار القامة و ذو شعر جعدي مشابه لشعور الأقزام ، ومن القبائل البدائية أيضا قبيلة جولاه التي تعيش في غامبيا.

لكن معظم سكان غرب إفريقيا هم من الزنوج ، و قد وصف الإصطخري الزنوج بقوله: "بلد السودان يكون بها الناس أشد سواد"[4] كما يرجع ابن خلدون سوادهم إلى عوامل مناخية فيقول: "هذا اللون شمل أهل الإقليم الأول و الثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب"[5] ، ومن القبائل الزنجية الولووف بالسنغال و يتميزون بطول القامة ، و شدة

---

[1] . فيج جي دي ، المصدر السابق ، ص18.

[2] . مار مول كرفجال ، إفريقيا ، تر:محمد حجي و آخرون ، ج1، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرباط ، 1984، ص 51.

[3] . أحمد شكري ،الإسلام و المجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1430,1230م، المجتمع الثقافي للنشر، الإمارات 1999،ص58.

[4] . الإصطخري ، المصدر السابق، ص35.

[5] . ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون ، ط1,دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، د ت ،ص 97.

السواد ، بينما اليوربا فهم يقطنون في جنوب غربي نيجيريا و هم أقل طولا و أقل سواد، و يعود أصل الزنوج إلى كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة و السلام[1].

و ثمة مجموعات زنجية أخرى هي : الماندیكا ، و المندي في الغرب و الفا، و الأشانتي و الإوي، و الموصي في المنطقة الوسطى، و ايبو جنوب شرقي نيجيريا .

هذا و أن سبب تنوع أجناس الناس في هذه المنطقة هو سبب طبيعي، إذ نجد أن الكثير من سكان غرب إفريقيا ليسوا من الزنوج أو أنهم زنوج بصفة جزئية ، والكثير منهم أحفاد رجال القبائل الذين نزحوا في الماضي نحو الجنوب من شمال إفريقيا و الصحراء و استقروا في غرب إفريقيا، وهم حاميون و ساميون من حيث الأصل، ومهنتهم الرئيسية تربية الأبقار بينما الزنوج يمتهن بالدرجة الأولى الزراعة[2].

يتميز زنوج غرب إفريقيا بصفات جسمانية تميزهم عن غيرهم من الشعوب القاطنة أو المتواجدة في المنطقة ، و تتمثل هذه الصفات التي لابد من ذكرها و التعريج عليها في طول القامة و البشرة أكثر سواد و الشفاه الغليظة ، أما الوجه فعظامه بارزة جدا[3]، و كلمة زنج هي الأرجح مستمدة من الكلمة الفارسية معناه "الأسود"[4].

أما السكان الغير زنوج و الذين قطنوا المنطقة لسبب أو لآخر نجد منهم الحاميون و هم من الشعوب التي تنتمي إلى العرق الأبيض القوقازي ،إذ أن هذا العرق تعود أصوله التاريخية إلى آسيا ، و ما يميزهم عن غيرهم طول القامة، و لون بشرتهم الأسود، أما وجوههم فهي بيضاوية الشكل ،زد على ذلك نحافة أجسامهم ،و ضيق أنوفهم، و نلاحظ أن

---

[1] . البكري ،المسالك والممالك ، مج1، ط1، تح : جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2003 ،ص 242.

[2] . فبج جي دي، المصدر السابق، ص 20.

[3] . عبد القادر مصطفى المحشبي و آخرون ، المرجع السابق ،ص 113.

[4] . جوان جوزيف ، الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السودان ، تر: مختار السويفي،ط1، دار الكتب الإسلامية للنشر، القاهرة، 1984، ص 131.

الحاميون يمتلكون بعض صفات الزنوج، و ذلك من حيث طول القامة و سواد البشرة و يرجع سبب هذا التشابه إلى اختلاط الدماء الحامية بالدماء الزنجية.

و يتركز الحاميون الذين هم خليط من العرب و البربر في الحدود الشمالية الساحلية للأقاليم الممتدة على الضفة اليمنى لنهر السنغال، و الضفة اليسرى لنهر النيجر، و أشهر هذه القبائل العربية التي عمرت هذا الإقليم ، قبيلتي جدالة و لمتونة المتفرعة عن صنهاجة و كان لها دور كبير في قيام حركة المرابطين[1] الإصلاحية[2].

كما يقول الإصطخري عن التنوع السكاني في غرب إفريقيا : " و بلغني أن في بعض أطراف الزنج صرودا فيها زنج أبيض "، ووصف بلاد الزنج بقوله : " و بلد الزنج هذا بلد قشف قليل العمارة قليل الزر وع ، إلا ما اتصل بها من مستقر الملك:"[3].ووصفها الإدريسي بقوله : "و هذه البلاد كثيرة الحر حامية جدا ، ولذلك فإن أهل هذا الإقليم لشدة الحر و إحراق الشمس لهم ،كانت ألوانهم سودا وشعورهم متفلفلة "[4]

ومن القبائل المتواجدة في هذا الإقليم، القبلية الفولانية التي تضاربت حول أصلها الآراء إذ أن هناك من يرجع أصلها إلى السلالة البيضاء، أو أنها تنتمي إلى السلالة الزنجية، ورأي آخر يرجع أصولها إلى الطوارق[5] ،و رأي أخر يرجع أصولها إلى الأصل العربي أو إلى

---

[1] . **المرابطون** : أسرة مسامة طهورية شديدة البأس قاسية الطباع يرجع تاريخها إلى القرن الحادي عشر، أسسها قائد عسكري يدعى يحيى ومعنى المرابطون " حماة الحدود دفاع عن العقيدة. أنظر: ب.س ، لويد ، أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي ، تر : شوقي جلال ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ، 1978، ص27.

[2] . محمد فاضل علي باري و آخرون ، المرجع السابق ، ص 24.

[3] . الإصطخري، المصدر السابق ، ص 32.

[4] . أبو عبد الله الشريف الإدريسي ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تح:إسماعيل العربي د م ج ، الجزائر ، 1983 ، ص 32.

[5] . **الطوارق** : و هم المسوقة ينتسبون إلى صنهاجت و هم رحالة في الصحراء و يرفعون أنسباهم إلى حمير وليس بينهم وبين البربر إلا الرحم .أنظر : السعدي عبد الرحمان بن عبد الله ، تاريخ السودان ، باريس، فرنسا، 1964، ص 25

الأصل الفرعوني أو الروماني[1]، كما نسبهم بعض المؤرخين إلى بعض الصحابة كعقبة بن نافع الفهري، و أبوبكر الصديق[2]،أما الرأي الآخر يرى نسبهم بربري جاءوا للسودان الغربي من شمال السنغال،[3] وللقبيلة الفولانية دور كبير في تاريخ المنطقة، و في مجال الثقافة العربية و الدعوة الإسلامية ،إذ قامت على أيديهم أقدم إمبراطورية و مملكة عرفت في الغرب الإفريقي جنوب الصحراء، وهي إمبراطورية التكرور[4]، وقد اشتهر هذا الاسم تاريخيا عند المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين ، فلفظة الفلانة مرادفة للتكرور ، حتى أصبح أي إنسان ينتمي إلى الغرب الإفريقي يعرف بالتكرور[5].

كما أن الفولانيين هم الجنس الوحيد الذي يربط بين الجنس العربي والبربري والزنجي من سكان الشمال الإفريقي، وصحراء إفريقيا الكبرى ، واشتهر هذا الجنس بحيازة الثروة الحيوانية وبالتالي أصبح أبناء الفولانيين محترفين في تربية الماشية بالدرجة الأولى، وهذا ما يجعل في نظرنا انتماء هذا الشعب إلى زنوج إفريقيا أمر مستبعد .

أما فيما يخص مكان تمركزهم فهم يتمركزون بشكل أساسي في منطقة الغرب الإفريقي والأوسط، انطلاقا من جمهورية موريتانيا غربا حتى جمهورية السودان شرقا أي من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر[6].

---

[1] . مقالة بعنوان :الفلان و السنونكي ، www.rayan.inyo

[2] . مبارك بن الصافي، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال ق 12هـ ، دار السبيل للنشر و التوزيع، ط1 الجزائر، 2009، ص275.

[3] . عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، م و ث ف أ ، الكويت، 1989، ص 30.

[4] . **التكرور**: تعني سكان دولة تكرور القديمة في غرب إفريقيا التي نشأة في ق 9م و هي شرقي إقليم كوكو ويليه من الغرب مملكة البرنو .أنظر :الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا و مساهمتهم الإسلامية في السودان ، ط1، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، 1994 ، ص 256.

[5] . عثمان برا لما باري ، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، ط1، دار الأمين للطباعة و النشر، القاهرة 2000 ص 312.

[6] . عثمان برا لما باري، المرجع السابق ، ص 314.

وكغيرها من الشعوب يتميز الفولانيون بطول القامة ونحافة القوام أو توسط الحجم والوجه المستطيل والأنف المستدق، أما لون البشرة فهو أسود فاتح ولامع، بالإضافة إلى اتساع مقلتي العينين ، ويغلب على هذه القبيلة الحياء المفرط والهدوء الطبع ، و نقاء الروح، وعفة النفس ، وشدة الغيرة[1] كما يتميزون بالشعر المسترسل و الشفاه الصغيرة[2].

وينقسم الفولانيون إلى فولاني"البقرة" وفولاني "الجيد" أي الفولان الذين يسكنون المدينة[3]،و فيما يخص اللغة التي تعتبر جزءا من التراث الحضاري للمنطقة ، فانه يوجد في غرب إفريقيا 150لغة،و مع ذلك فان لغة المستعمر مازالت طاغية في الكثير من مجتمعات إفريقيا الغربية ، إلا أن أكثر اللغات شيوعا في هذه المنطقة هي لغة الهاوسا التي يتكلم بها 25 مليون شخص في نيجيريا، والباقي موزعون في النيجر و بعض مناطق الكامرون و غانا[4].

لقد انتشر الإسلام في غرب إفريقيا عن طريق الدعاة الذين كانت ترسلهم الدول التي قامت في غرب إفريقيا و خاصة المرابطين[5]، واستمر في الانتشار و التوغل بين الشعوب و القبائل الزنجية الإفريقية، عن طريق الغزو و التجارة و الدعاة المصلحين و الطرق الصوفية، خاصة الطريقة القادرية التي انتشرت في القرن الخامس عشر على يد مهاجرين من قبيلة "كونتا" من توات ، واشتهر أتباع هذه الطريقة من الفقهاء و المريدين من السنغال إلى مصب نهر النيجر، فانتشرت القادرية في جنـــــــي[6]

---

[1] . عثمان برا لما باري، المرجع نفسه ، ص 316.

[2] . مقال بعنوان :ألفلان و السنونكي، www.rayan.info.

[3] . إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص27.

[4] . محمد فاضل علي باري و آخرون ، المرجع السابق، ص27.

[5] . إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث و المعاصر (قارة إفريقيا)، ج2، ط3، مكتبة عبيكان للنشر و التوزيع ، الرياض، 2001، ص23.

[6] . **جني** :عاصمة إمبراطورية شونغاي القديمة .أنظر :مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج2 ، دار رواد النهضة ، بيروت ، لبنان ، د ت، ص171.

وتمبكتو[1] و غيرها من العواصم في غرب إفريقيا[2]، و من الطرق المنتشرة في غرب إفريقيا والتي بدورها أسهمت في نشر الإسلام بالمنطقة الطريقة التجانية و الطريقة السنوسية[3] ، و يعتبر الحاج عمر الفوتي التكروري الأصل مؤسس الزاوية التجانية بالسودان الغربي[4]، و قد ارتبطت الطريقة التجانية بمسألة اللجوء للسيف و القوة ، أما الطريقة السنوسية فقد أنشأت زوايا و أربطة حول بحيرة تشاد في "كانم بورنو" و رغم الانتشار الواسع للإسلام ظل الملوك على الوثنية لذلك قام المرابطون بقيادة عبد الله بن ياسين بحركة الجهاد ، ولما توفي هذا الأخير سنة 440هـ –1057م واصل تلاميذه الجهاد.

ومنذ اعتناق ملوك الصنغاي الإسلام في أواخر القرن الثالث و أوائل القرن الرابع الهجري بين الحادي عشر ميلادي زاد انتشار الإسلام بسرعة مذهلة خاصة بعد انتقال الحكم إلى أسرة الأسقيين[5]سنة 899هـ –1493م إلى أن سقطت المملكة على يد جودار باشا قائد جيش المنصور الذهبي ، وبذلك عمت البلاد بالفوضى، وانتقلت السلطة من يد المغاربة إلى قبائل البامبرا الوثنيين[6]،كما يعود الفضل كذلك لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا إلى الشيخ

---

[1] . **تمبكتو** : تقع بأرضي مالي الحالية و بالتحديد شمال غرب مالي .أنظر : الطيب عبد الرحيم محمد الفلا تي، المرجع السابق، ص 207.

[2] . شوقي الجمل ، الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا ، مجلة الدراسات الإفريقية ،ع8، ج8، يصدرها سنويا معهد الدراسات و البحوث الإفريقية ، القاهرة ، 1979م، ص 45.

[3] . **السنوسية** :أسسها سيدي محمد بن علي السنوسي 1847،ولد عام 1798 بمستغانم ثم رحل إلى فاس، و التحق بجامعة القرويين، وسافر إلى الحجاز، و قد شهد السنوسي بأن أفريقيا أولى بدعوته و أنشأ الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر .أنظر :ألهام محمد على ذهني ، المرجع السابق، ص 33.

[4] . أحمد الأزمي ، الطريقة التجانية في المغرب و السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي ، ج2، المملكة الغربية وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 2000 ، ص 352.

[5] . **الأسقيين** :جمع الأسقيا و هي من أصل سارا كولي، فروا أمام الفتح ألمرابطي في القرن 11م من جنوب موريتانيا الحالية ثم تفرقوا إلى جهات عديدة من السودان الغربي على أن جلهم استقروا حول نهر النيجر و اختلطوا بقبائلها ، أنظر: عبد القادر زبادية ،مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، المرجع السابق ، ص28.

[6] . أحمد بوعترس ، الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء و إبان القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي ، دار الهدى للطباعة و التوزيع ،د م، 2009، ص 51.

بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، إذ قام هذا الأخير بترتيب أوضاع مملكة سنغاي مع أميرها الحاج محمد أسقيا، كما ألف له الإمام المغيلي رسالة في الإمارة[1].

وبما أننا تحدثنا عن الطرق الصوفية فلابد من تعريف التصوف في معناه الاصطلاحي :التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري تدعو للزهد و شدة العبادة[2].

و بانتشار الإسلام انتشرت معه اللغة العربية ، و لذلك قال الباحث السوداني "أبومنقة" في دراسة عن لغات الشعوب الإسلامية في إفريقيا "أن الإسلام و جد أذنا صاغية في القارة الإفريقية قبل أن ينتشر الإسلام في مكة نفسها ، و ذلك بهجرة مجموعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم إلى الحبشة، ومنذ ذلك الوقت تغلغل الإسلام و لغته العربية في كثير من المجتمعات الإفريقية"[3].

وعليه فإن الحقائق التي لا يجب إغفالها،والتي يجب إدراكها هو امتداد التراث الحضاري و الثقافي الإسلامي و اتصاله بالثقافة الإفريقية، وذلك من خلال عمق العادات و التقاليد المشتركة، إذا لا نلمس فرقا كبيرا بين الثقافة الإسلامية العربية و الثقافة الإفريقية المتأثرة بالثقافة الإسلامية[4]،كما يرجع التقاء الحضارتين العربية و الزنجية إلى القرن السابع الميلادي ، وقد أثرت الحضارة الأولى في الثانية تأثيرا ملحوظا في جميع المستويات و هو

[1] . ياسين شبابي ، الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني و دعوته الإصلاحية بتوت و السودان الغربي ، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2007، ص 143.

[2] . عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها و عقائدها و آثارها ، ط1 ، دار كنوز أشبيليا للنشر و التوزيع الرياض، 2005 ، ص 10.

[3] . محمد العربي ولد خليفة ، الهوية الإفريقية و الثقافة العربية الإسلامية ، مجلة إفريقيا ، ع1، 2009 ، ص 87.

[4] . حاج أبا آدم الحاج ، أثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الإفريقية ، دراسة حالة مردود الثقافة الإفريقية في غرب إفريقيا د م،د ت،ص 22.

الشيء الذي ساعد على انتشار اللغة العربية في إفريقيا الغربية منذ أوائل القرن السابع ميلادي و تطور انتشارها خلال القرون التي تلت[1].

[1] . الهادي الدالي، عمار هلال، دراسة في حركات التبشير والتنصير بمنطقة افريقيا فيما وراء الصحراء ، الدار المصرية البنانية ، القاهرة ، 2002 ، ص 17.

خلاصة الفصل :

في هذا الفصل خرجنا بجملة من الاستنتاجات، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

ـ إن إقليم السودان الغربي أو إفريقيا الغربية تعود تسميته إلى العرب ، إذ استحوا من لون البشرة ، كما أطلقوه على كل المناطق الواقعة جنوب مصر التي يقطنها السود .

ـ تعددت استعمالات هذا المصطلح عند الأوروبيين، ونخص بالذكر الفرنسيين و البريطانيين،إذ استعمل الفرنسيون هذا المصطلح للدلالة على ممتلكاتهم في غرب إفريقيا،أما البريطانيون فقد استعملوه للدلالة على ما كان يعرف لديهم السودان الغربي.

ـ يتميز إقليم السودان الغربي بالتنوع العرقي،حيث توجد عدة أعراق تختلف من حيث اللون ، البنية و النشاط الاقتصادي.

ـ يتميز هذا الإقليم بالتنوع المناخي و التضاريسي من جبال و أنهار و غيرها .

ـ يتوفر السودان الغربي على غطاء نباتي متنوع يعكس التنوع المناخي .

ـ تكتنز المنطقة مجموعة من الثروات و المعادن و الخام ، كالحديد و الفوسفات في السنغال ، و الماس في غينيا و سيراليون.

ـ كانت الديانة السائدة في معظم أرجاء هذه المنطقة الديانة الوثنية.

ـ دخل الإسلام إلى السودان الغربي بطرق سليمة و عفوية، أي عن طريق التجارة والدعاة، و رجال الطرق الصوفية.

ـ من بين الطرق الصوفية المنتشرة في غرب إفريقيا ,الطريقة القادرية التي انتشرت في المنطقة في القرن 15م و الطريقة السنوسية و الطريقة التجانية .

ـ كان لدخول الإسلام في غرب إفريقيا من العوامل التي ساهمت في ازدهار المنطقة من قيام نهضة علمية و فكرية ، و بروز عدد من العلماء ، و أدت هذه النهضة إلى توافد الكثيرين من العلماء إلى هذه المنطقة و تأسيس عدد من المدن العلمية مثل : تمبكتو، كما ظهرت عدة إمبراطوريات مثل : مالي و السنغال.